

هجر القرآن

الدكتور صلاح الدين ثاني

الهجرة لغة: الهجرة هي الاسم من الهجر او الهجران، وهي ماخوذة من مادة (هـ ج ر) التي تدل على معنيين: الاول: القطيعة، والآخر: شد شيء وربطه، فمن الاول اخذ الهجر ضد الوصل، وكذلك الهجران، وقولهم هاجر القوم من دار الى دار: تركوا الاولى للثانية، كما فعل المهاجرون حين هاجروا من مكة الى المدينة، وقال الراغب: المهاجرة في الاصل: مصارمة الغير ومنازكته، من قوله عز وجل ﴿والذين هاجروا واجاهدوا﴾ (١) والهجرة والهجران مفارقة الانسان غيره، اما بالبدن (٢) او بالقلب او باللسان (٣)

واصطلاحاً: هي ترك الوطن الذي بين الكفر والانتقال الى دار السلام. (٣)

وقال الراغب: الهجرة: الخروج من دار الكفر الى دار الايمان كمن هاجر من مكة الى المدينة، قيل: ومقتضى ذلك هجران الشهوات والاجلاق النميمة والخطايا وتركها ورفضها. (٥)

وقال الكفوي: الهجرة: هجرتان: اولاهما: هجرة المسلمين في صدر الاسلام الى الحبشة فراراً من اذى قريش. وثانيتهما: هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين قبله وبعده ومعه الى المدينة، وقد كانت الهجرة من فرائض الاسلام بعد هجرته صلى الله عليه وسلم، ثم نسخت بعد فتح مكة لقوله عليه السلام: لا هجرة بعد الفتح. (٦)

انواع الهجرة:

قال ابن الاثير: الهجرة هجرتان: احدهما التي وعد الله عليها الجنة في قوله ﴿ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة﴾ (٧) فكان الرجل ياتي النبي صلى الله عليه وسلم ويدع اهله وماله لا يرجع في شيء منه وينقطع بنفسه الى مهاجرة، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يكره ان يموت الرجل بالارض التي هاجر منها، فمن ثم قال "لكن البائس سعد بن خولة" يرثي له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مات بمكة، وقال حين قدم مكة: اللهم لا تجعل منايانابها، فلما فتحت مكة صارت دار اسلام كالمدينة، وانقطعت الهجرة.

والهجرة الثانية: من هاجر من الاعراب وغزاع المسلمين، ولم يفعل كمال فعل اصحاب الهجرة الاولى. فهو مهاجر وليس بداخل في فضل من هاجر

تلك الهجرة وهو المراد بقوله "لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة" فهذا وجه الجمع بين الحديثين. واذا اطلق في الحديث ذكر الهجرتين فانما يراد بهما هجرة الحبشة وهجرة المدينة. (٨)

تعريف القرآن: قال القرطبي: القرآن اسم لكلام الله تعالى وهو بمعنى المقروء، ويسمى المقروء قرآنا على عادة العرب في تسميتها المفعول باسم المصدر ثم اشتهر الاستعمال في هذا واقترن به العرف الشرعي فصار القرآن اسماً لكلام الله وقيل: هو اسم لكتاب الله غير مشتق كالتوراة والانجيل. (٩)

وقال الجرجاني القرآن: هو المنزل على الرسول، المكتوب في المصاحف، المنقول عنه نقلاً متواتراً بلاشبهة. (١٠)

قال ابو اسحاق النحوي: يسمى كلام الله تعالى الذي انزله على نبيه صلى الله عليه وسلم، كتاباً وقرآناً وقرآناً. ومعنى القرآن معنى الجمع، ويسمى قرآناً لأنه يجمع السور، فيضمها. (١١)

قال الحافظ ابن كثير: كان الكفار اذا تلى عليهم القرآن اكثروا اللفظ والكلام في غيره حتى لا يسمعون، فهذا من هجرانه، وترك الايمان به، وترك تصديقه من هجرانه، وترك تدبره وتفهمه من هجرانه، وترك العمل به وامثال اوامره واجتناب زواجره من هجرانه، والعدول عنه الى غيره من شعرا و قول او غناء او لهو او كلام او طريقة ماخوذة من غيره من هجرانه. (١٢)

هجر القرآن اصطلاحاً: لم تذكر كتب المصطلحات "هجر القرآن"

"مصطلحاً ويمكن في ضوء ماوردته كتب اللغة وما ذكره المفسرون ان هجر القرآن له جانبان: احدهما يتعلق بالقرآن دون اخذله، وهذا صنيع الكفار والمنافقين، والآخر يتعلق به بعد الاقرار بانه كلام الله الذي لا ياتي به الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهذا صنيع بعض المسلمين الذين لا يقرؤون القرآن، او يقرؤونه لا يجاوز حناجرهم، فلا يعلمون به، ومن هؤلاء صنّف يحفظ القرآن او شياء منه ثم يهجر القراءة حتى ينسى ما قد يكون حفظه منه، وعلى ذلك فان هجر القرآن: هو الاعراض عنه او اللغو فيه والقول فيه بغير الحق كالزعم بانه سحر أو شعر ونحو ذلك من سبني القول وترك تلاوته او العمل به او نسيانه بعد الحفظ. (١٣)

مظاهر هجر القرآن:

لهجر القرآن مظاهر عديدة منها: ١..... القول فيه بغير الحق، وهذا صنيع الكفار الذين حكى عنهم في قوله تعالى: ﴿وقال الرسول يارب ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً﴾ قال القرطبي: اي قالوا فيه غير الحق من انه سحره او شعر. (١٣) وقال الطبري: يعني قولهم فيه السيء من القول، فقالوا غير الحق. (١٥)

٢..... الاعراض عن القرآن والبلغوفيه. وقد ورد هذا المعنى في تفسير الآية السابقة، يقول الطبري: وذلك ان الله اخبر عنهم بانهم قالوا: ﴿لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه﴾ (١٦) وذلك هجرهم اياه. (١٤)

٣..... ترك تلاوة القرآن بالكلية، وهذا المعنى قد اورده القرطبي في تفسير الآية الكريمة السابقة عندما ذكر: وقيل معنى مهجوراً (متروكاً) وما جاء عن ابن عباس رضى الله عنهما: الذى ليس فى جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب. (١٨)

٤..... نسيان القرآن بعد حفظه، والى هذا المعنى اشارت الآية الكريمة: ﴿ومن اعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيمة اعمى﴾. قوله تعالى كذلك اتتك آيتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى﴾ (١٩)

٥..... ترك العمل بالقرآن، ودليل ذلك ما رواه ابو عبيدة عن انس رضى الله عنه مرفوعاً "القرآن شافع مشفع وماحل مصداق، من جعله امامه قاده الى الجنة، ومن جعله خلفه قاده الى النار. ومعنى ان يجعل الانسان القرآن خلفه ان يهمل تلاوته او العمل به. (٢٠)

حكم هجر القرآن:

يختلف حكم هجر القرآن باختلاف نوع الهجر، فان كان الهجر بالاعراض عنه واللفو فيه فهذا كفر صراح، وان كان الهجر بمعنى الترك المودى الى النسيان بعد الحفظ فقد ذكر ابن حجر رحمه الله تعالى انه من الكبائر، وقال بان ذلك هو ما ذهب اليه الرافعى وغيره، ونقل عن بعض العلماء ان جعل كون نسيان القرآن كبيرة عند من قال به مشروط بان يكون عن تكاسل وتهاون، وهذا احتراز عما لو اشتغل عنه بمرض مانع من القراءة، وعدم التائب بالنسيان حينئذ واضح، لانه مغلوب عليه لا اختيار له فيه.

اما اذا كان الهجر متعلقاً بعدم العمل به فذلك معصية يتوقف

كونها كبيرة او صغيرة على نوع المخالفة ذاتها، واما اذا كان الهجر بمعنى ترك التلاوة، فان كان يقدر عليها ولم يفعل فهو كالبيت الخرب وان لم يكن قادراً فان الله لا يكلف نفساً الا ما وسعها، هذا الا فيما تصح به صلاته فانه واجب على كل مسلم ولا يجوز تركه بخال. (٢١)

انواع هجر القرآن والخرج منه:

هجر القرآن انواع: احدها: هجر سماعه والايمان به والاصغاء اليه. والثاني: هجر العمل به والوقوف عند حلاله وحرامه وان قرأه وامن به. والثالث: هجر تحكيمه والتحاكم اليه في اصول الدين وفروعه، واعتقاد انه لا يفيد اليقين وان ادلته لفظية لا تحصل العلم، والرابع: هجر تدبره وتفهمه ومعرفة ما اراد المتكلم به منه. والخامس: هجر الاستشفاء والتداوى به في جميع الامراض للقلوب وادوائها، فيطلب شفاء ذاته من غيره ويهجر التداوى به. وكل هذا داخل في قوله تعالى: ﴿وقال الرسول يارب ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً﴾ (٢٢) وان كان بعض الهجر اهون من بعض.

والسادس: الخرج الذي في الصدور منه، فانه تارة يكون حرجاً من انزاله وكونه حقا من عند الله. وتارة يكون من جهة المتكلم به او كونه مخلوقاً من بعض مخلوقاته الهم غيره ان تكلم به، وتارة يكون من جهة كفايته وعدمها وان لا يكفي العباد، بل هم محتاجون معه الى المعقولات والاقيسة والاراء والسياسيات. وتارة يكون من جهة دلالة وما يريد به حقائقه المفهومة منه عند الخطاب، او اريد به تاويلها وخراجها عن حقائقها الى تاويلات مستكرهة مشتركة. وتارة يكون من جهة كون تلك الحقائق وان كانت مرادة، فهي ثابتة في نفس الامر او وهم انها مرادة لضرب من المصلحة.

فكل هؤلاء في صدورهم حرج من القرآن، وهم يعلمون ذلك من نفوسهم ويجدون في صدورهم، ولا تجد مبتدعاً في دينه قط الا وفي قلبه حرج من الآيات التي تخالف بدعته. كما انك لا تجد ظالماً فاجراً الا وفي صدره حرج من الآيات التي تحول بينه وبين ارادته. فتدبر هذا المعنى ثم ارض لنفسك بماتشاء. (٢٣)

الآيات الواردة في هجر القرآن :

١..... ﴿حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب إذا هم يجثرون. لا تجتر اليوم انكم منالانتصرون. قد كانت آيتي تتلى عليكم فكنتم على اعقابكم تنكصون. مستكبرين به سامراتهجرون. اقلم يدبروا القول ام جاءهم مالم يات آباءهم الاولين. الم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون. ام يقولون به جنة بل جاءهم بالحق واكثرهم للحق كرهون. ولواتبع الحق اهواءهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن. بل اتينهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون. ام تسئلهم خرجاً فخراج ريبك خير وهو خير الرازقين. وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم. وان الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لنكون.﴾ (٢٣)

٢..... ﴿وقال الرسول يرب ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين وكفى بربك هادياً ونصيراً وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلاً﴾ (٢٥)

الاحاديث الواردة في هجر القرآن معني:

١..... عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "ان اصغر البيوت بيت ليس فيه من كتاب الله شيء، فافروا القرآن فانكم تؤجرون عليه بكل حرف عشر حسنة. اما اني لا اقول ألم، ولكن اقول الف، ولام، وميم. (٢٠)

٢..... عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "ان الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب. (٢١)

٣..... عن عمران بن حصين رضي الله عنه انه مر على قاص يقرأ، ثم سأل فاسترجع ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من قرأ القرآن، فليسأل الله به، فانه سيحيى اقوام يقرؤون القرآن يسألون به الناس. (٢٢)

٤..... عن زيد بن وهب الجهني انه كان في الجيش الذين كانوا مع علي رضي الله عنه الذين ساروا الى الخوارج. فقال علي رضي الله عنه ايها الناس، اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: يخرج قوم من امتي يروون القرآن، ليس قراء تكلم الى قراء تهم بشيء، ولا صلواتكم الى صلواتهم بشيء، ولا صيامكم الى صيامهم بشيء، يقرؤون القرآن يحسبون انه لهم وهو عليهم، لا تجاوز صلواتهم تراقيهم

يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية. لويعلم الجيش الذين يهيبونهم، بما قضى لهم على لسان نبيهم صلى الله عليه وسلم، لا تكلموا عن العمل، وآية ذلك ان فيهم رجلاً له عضد، وليس له ذراع، على راس عضده مثل حلمة الشدى، عليه شعرات بيض، فتذهبون الى معاوية واهل الشام وتتركون هولاء يخلفونكم فى ذرايكم واموالكم، والله انى تارجون ان يكونوا هولاء القوم، فانهم قد سفكوا الدم الحرام، واغاروا فى سرح الناس، فسيروا على الله.

٣..... عن سهل بن سعد الساعدي رضى الله عنه قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نقترى، فقال: الحمد لله، كتاب الله واحد، وفيكم الاحمر، وفيكم الابيض، وفيكم الاسود اقرؤوا قبل ان يقرأه اقوام يقيمونه كما يقيم السهم، يتعجل اجره ولا يتأجله. (٢٣)

٥..... عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال دخل النبي صلى الله عليه وسلم المسجد فاذا فيه قوم يقرؤون القرآن قال اقرؤوا القرآن وابتغوا به الله عز وجل من قبل ان ياتي قوم يقيمونه اقامة القدح يتعجلونه ولا يتأجلونه. (٢٤)

٦..... عن ابي موسى الاشعري رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن مثل الاترجة بريحها طيب، وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذى لا يقرأ القرآن، مثل التمرة، لا ريح لها وطعمها حلو، ومثل المنافق الذى يقرأ القرآن مثل الريحانة، ريحها طيب، وطعمها مر، ومثل المنافق الذى لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة، ليس لها ريح وطعمها مر. (٢٥)

٧..... قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه والذى نفسى بيده ان حق تلاوته ان يحل حلاله ويحرم حرامه ويقرأه كما انزله الله لا يحرف الكلم عن مواضعه ولا يتأول منها شيئاً على غير تأويله. (٢٦)

٨..... عن ابي سعيد الخدرى رضى الله عنه قال يكون خلف بعد سنين اضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيابةم يكون خلف يقرأون القرآن لا يعلمون سرهم، ويقرأ القرآن ثلاثة: مؤمن ومنافق وفاجر فقال بشير: فقلت للوليد ما هولاء الثلاثة؟ فقال: المنافق كافر به، وفاجر يتركه، وهو المؤمن يعمل به. (٢٧)

٩..... عن قتادة قرضى الله عنه في قول الله عز وجل ﴿وَالْبِلْدَانَ الطَّيِّبَةَ﴾ يخرج نيابته بأذن ربه ﴿٢٨﴾ قال البلد الطيب: المؤمن سمع كتاب الله فوعاه فآخذه به فانقطع به، كمثل هذه الارض اصابها الغيث فانتبت وامرعت، ﴿ووالذي خبث لا يخرج منه الا نكد﴾ عسراء، مثل الكافر قلمسمع القرآن فلم يعقله، ولم يأخذ به، ولم ينقطع به، كمثل هذه الارض الخبيثة اصابها الغيث فلم تنبت شيئاً ولا تمرع شيئاً. (٢٩)

١٠..... عن قتادة قرضى الله عنه قال ما جالس القرآن احد فقام عنه الا يزيد الا زيادة او نقصان، ثم قرأ: ﴿وتنزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسار﴾ (٣٠)

١١..... عن زاذان قال من قرأ القرآن يتأكل به الناس، جاء يوم القيمة ووجهه عظم ليس عليه لحم. (٣١)

المزايا والخواص في الصفحات المتعاقبة

(١) البقرة/٢١٨ (٢) في سورة النساء/٣٢ واهجر وهن في المتضامع اى عدم قر بهن مفارقة باليدن.

(٣) سورة الفرقان /٣٠ وسوره المزمل /١٠ وسوره المنثر /٥ المقارفة بالقلب واللسان بالوجه كلها.

(٤) الجوهرى، الصحاح طبع في القاهره ١٩٨٢ء ١٩٨١/٢ مقاييس اللغة ٣/٦ بصائر ذوى التمييز ٣٠٣/٥ مفردات ٥٣٤ لسان ٢٥٠/٥

(٥) الجرجاني، التعريفات دار الكتب العلمية بيروت ١٣٠٣ ٢٥٦ الاصحقانى امام راسخ المفردات في غريب القرآن تحقيق محمد كيلانى القايرة ١٩٦١ء ٥٣٤

(٦) ابو البقاء الكفوى الكليات معجم المصطلحات والفروق اللغوية بيروت مؤسسة الرسالة ١٩٩٣ء ص/٦٩٢. (٤) التوبة/١١١

(٨) ابن الاثير، النهاية في غريب الحديث والأثر دار احياء الكتب العربية ١٣٦٣/٥ ٢٣٣

(٩) تفسير القرطبي الجامع الاحكام القرآن دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٨، ٢٩٨/٤

(١٠) التعريفات للجرجاني/١٨١

(١١) لسان العرب/١٨٢

(١٢) تفسير ابن كثير، القرآن الكريم لايى الفداء عماد الدين، ٣/٣٢٩

(١٣) موسوعة نظرة النعيم/٥٦٩١ (١٣) قرطبي تفسير القرطبي، ١٣/٢٠

- (۱۵) طبری، تفسیر الطبری ۳۸۵/۹
- (۱۶) فصلت/ ۲۶ (۱۷) الطبری ۳۸۵/۹
- (۱۸) انظر الحديث رقم: ۲ عن ابن عباس صفحه آخر، (۱۹) طہ/ ۱۲۳-۱۲۶
- (۲۰) سیوطی، الاتقان فی علوم القرآن ۱۵۲/۲ (۲۱) الزواجر/ ۱۵۷
- (۲۲) الفرقان/ ۳۰ (۲۳) الفوائد لابن القيم رحمہ اللہ تعالیٰ/ ۱۰۷-۱۰۸
- (۲۴) المؤمنون/ ۶۳-۷۳ (۲۵) الفرقان/ ۳۰-۳۲
- (۲۶) الترمذی: ۲۹۱۰، نحوه، وقال: حسن صحیح، والمنذری فی الترغیب والترہیب ۳۵۹/۲. وقال رواه الحاكم موقوفاً/ ۵۶۶، ومرفوعاً واللفظ له، ووافقه الذہبی وقال رفعه بعضهم.
- (۲۷) احمد: ۱۹۳۷، والترمذی: ۲۹۱۳، واللفظ له، وقال: حسن صحیح، والحاكم ۵۳۳/۱، وقال الشيخ احمد محمد شاكر: اسناده صحيح ۲۹۰/۳، والتروغيب والترهيب ۳۵۹/۲
- (۲۸) اخرجه الترمذی: ۲۹۱۷، وقال: حديث حسن، ينظر في الصحیحة: ۲۵۷. واورده السيوطی فی الجامع الصغير وحسن اسناده الشيخ الالبانی: ۲۳۳۳.
- (۲۹) ابوداود/ ۸۳۱، واللفظ له، وقال الهیثمی فی المجمع: رجاله ثقات.
- (۳۰) احمد ۳/۳۵۷ واللفظ له. وقال سنده حسن، والأجرى فی اخلاق اهل القرآن ۹۳. (۳۱) البخاری الفتح ۸/۵۰۲، ومسلم ۷۹۷ واللفظ له.
- (۳۲) جامع البيان فی تفسیر القرآن للطبری ۱/ ۵۶۷
- (۳۳) اخلاق اهل القرآن/ ۱۰۶. (۳۸) الاعراف/ ۵۸
- (۳۴) قال محقق اخلاق اهل القرآن للأجرى رجاله كلهم ثقات. ۱۵۶/
- (۳۵) الاسراء/ ۷۲ وسنن الدارمی ۳۳۳۳
- (۳۶) رواه ابونعيم ۳/ ۱۹۹، وقال سنده حسن ورجاله كلهم ثقات، وورد مرفوعاً لكنه ضعيف.